تجليات المفارقة التصويرية فى شعر أحمد مطر
...دراسة أسلوبية

إعداد

د. صوفيا يسري صلاح جمعة

مدرس الأدب العربي

بكلية الأداب

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور

العدد الحادى والستون - يوليو - الجزء الأول- لسنة 2023

تجليات المفارقة التصويرية فى شعر أحمد مطر ...دراسة أسلوبية

الملخص

يهــدف هــذا البحــث إلـــى الكشف عن المظاهر الشعرية والتجليات الجمالية لإشكالية الحاكم والمحكوم في العالم العربي والعلاقة بينهما في شعر أحمد مطر ، وذلك عبر الوقوف على أبرز الخصائص الأسلوبية المميزة لصور المفارقة الشعرية لديه التي صوّرت هذه الإشكالية ، وعبرت عنها ، لتبين دورها في إثراء النص الشعري جمالياً ودلالياً . فهذا البحث محاولة للكشف عن رؤية أحمد مطر لهذه الإشكالية ، وأثر ذلك في طرائق تشكيله الأسلوبية للمفارقة التصويرية ، ومدى نجاحه في ذلك لتصوير هذه الإشكالية ، وإيصال رؤيته لها إلى المتلقي ، والتعبير عن الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي للعالم العربي ، ولا سيما أن أبعاد تجربة أحمد مطر الشعرية خصبة متنوعة ممتدة الأثر والتأثير ، ترتهن في أساسها إلى القيام على نقد الواقع السياسي والاجتماعي للعالم العربي بوعي جاد وتصور شامل . وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي ،وتناول التعريف بماهية المفارقة التصويرية ووظيفتها في الشعر ، ودورها في شعر أحمد مطر ، وخصائصها الأسلوبية .

Summary:

This research aims to reveal the poetic and aesthetic manifestations of the problem of the ruler and the ruled in the Arab world and the relationship between them in the poetry of Ahmed Matar ،by standing on the most prominent stylistic characteristics of his images of poetic paradox that depicted and expressed this problem ،to show its role in enriching the poetic text aesthetically and semantically.. This research is an attempt to reveal Ahmed Matar's vision of this problem ،and its impact on the methods of his stylistic formation of the pictorial paradox ،and the extent of his success in that in portraying this problem ،and communicating his vision of it to the recipient ،and expressing the political ،social and cultural reality of the Arab world ،especially that the dimensions of Ahmed Matar's experience Poetry is fertile ،diverse ،and extends its impact and influence. Its foundation depends on criticizing the political and social reality of the Arab world with serious awareness and comprehensive perception. The research followed the analytical descriptive approach ،and dealt with the definition of the paradox ،and its function in poetry ،and the role of pictorial paradox in Ahmad Matar's poetry ،and its stylistic characteristics.

المقدمة

تعتبر المفارقة من مقومات الشعرية البارزة في الشعر العربي الحديث، وقد تعددت أنماطها ووظائفها، ولعل من أبرز هذه الأنماط المفارقة التصويرية، ومن أبرز الشعراء المعاصرين الذين تتشكل نصوصهم بصور فنية شتى من المفارقات، ولاسيما المفارقة التصويرية، الشاعر أحمد مطر بما يمثله شعره من تطور وحداثة وتميز بين أبناء جيله، وبما استطاع توظيفه من المفارقات المتعددة التي تستقطب أعماله الشعرية، وتمنحها مذاقها الخاص وشكلها المميز؛ ولهذا كله فإننا سنتوقف عند نصوصه الشعرية لتتبع أبرز الخصائص الأسلوبية للمفارقة التصويرية لديه، خاصة وأنها حاضرة بقوة وفعالية في خطابه الشعري السياسي الذي يتناول إشكالية الحاكم والمحكوم في العالم العربي والعلاقة بينهما التي تعد من أبرز موضوعات شعره السياسي. فقد كانت المفارقة التصويرية من أبرز الوسائل الفنية التي استعان بها لتجسيد رؤيته لهذه الإشكالية، وإخراجها إلى حيز الوجود من خلال التركيز على التناقضات المتعددة الحاصلة في الواقع العربي المعيش للحكام والشعوب، ذلك أن تلك التقنية تقوم بدور فعّال وحيوي في إبراز أبعاد التناقضات وتجسيدها في الشعر المعاصر، لذا سنركز على تجليات هذه الإشكالية في صور المفارقة الشعرية لدي أحمد مطر من ناحية الصياغة الأسلوبية، لتبين دورها في إثراء النص الشعري جمالياً ودلالياً، وفي إيصال رؤية الشاعر إلى المتلقي، ومدى نجاحه في ذلك للتعبير عن الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي للأمة العربية، ولا سيما أن أبعاد تجربته الشعرية خصبة متنوعة ممتدة الأثر والتأثير، ترتهن في أساسها إلى القيام على نقد الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي للعالم العربي بوعي جاد وتصور شامل.

فهو أديب ملتزم بقضايا الأمة العربية، ويشهد على ذلك شعره السياسي الذي يجوس في إشكالية الحاكم والمحكوم في العالم العربي والعلاقة بينهما، فحاول سبر أغوارها والغوص إلى أعماقها في محاولة جادة للتعبير عن ماهيتها وجوهرها وأبرز العوامل المؤثرة فيها والتعبير عن موقفه، فنلمح عنده الروح النقدية والإصلاحية التي تريد دفع الأمة العربية إلى السعي نحو مثل أعلى.

وقد حظيت تجربة أحمد مطر الإبداعية بدراسات ومقالات عديدة، إلا أنها لم تتناول دراسة الأساليب الموظفة في تشكيل المفارقة التصويرية للتعبير عن إشكالية الحاكم والمحكوم في العالم العربي والعلاقة بينهما، لذا جاءت هذه الدراسة.

ومن أمثلة الدراسات السابقة على سبيل المثال لا الحصر:» "عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر"لكمال أحمد غنيم(غنيم، ٦٧هـ)، "الخطاب الحجاجي في ديوان لافتات 2 لأحمد مطر"لفوزية زيار(زيار، 2012)، "لغة الشعر عند أحمد مطر"لمسلم مالك بعير(الأسدي، ٢٠٠٧ م)، "شعرية الهجاء السياسي: دراسة في شعر أحمد مطر"لهشام الكساسبة (الكساسبة، 2016)، "تشبيه التضاد في شعر أحمد مطر"لحيدر برزان (العقيلي، 2011)، "جدلية القهر والحرية والثورة في شعر أحمد مطر"لعبد السلام محمد (محمد، 1992)، "الغضب والتمرد في شعر أحمد مطر"لمحمد فؤاد وديب السلطان(فؤاد، محمد / السلطان، ديب، 2004).

أهم الإشكاليات والأسئلة التي يحاول البحث الإجابة عنها:

كيف وظف الشاعر عنصر المفارقة التصويرية لتصوير إشكالية الحاكم والمحكوم في العالم العربي، وإيصال رؤيته لها إلى المتلقي ؟ وما أبرز خصائصها الأسلوبية ؟

ما موقفه من هذه الإشكالية، وما أهدافه ؟ وما أثر ذلك في طرائق تشكيله الأسلوبية للمفارقة التصويرية ؟

هل نجح الشاعر في التشكيل الأسلوبي للمفارقة التصويرية لتصوير هذه الإشكالية وإيصال رؤيته لها إلى المتلقي، أم أخفق؟

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على النحو الآتي:مقدمة، تمهيد:تناولت فيه التعريف بماهية المفارقة ووظيفتها في الشعر، ثم تناولت المفارقة التصويرية في شعر أحمد مطر.

ثم مبحث بعنوان "الخصائص الأسلوبية"، وتناولت فيه خمس نقاط هي:السرد القصصي–التناص–أسلوب السخرية–الأساليب الإنشائية–أسلوب التكرار.

خاتمة تتضمن أبرز نتائج البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع.

وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي في وصف الخصائص الأسلوبية للمفارقة التصويرية وتحليلها في إطار الكشف عن جماليات المفارقة التصويرية وفضاءاتها وتعالقاتها الفنية، بشكل يسهم أخيرا في تحديد بعض ملامح الشعر السياسي عند أحمد مطر.

تمهيد:

أولاً: المفارقة الماهية والوظيفة:

تعد المفارقة من أبرز الأساليب الفنية التي شاعت في الشعر الحديث بتأثير من ظروف الواقع المعقد في العالم العربي المليئة بالأزمات والسلبيات والتناقضات على كافة المستويات والأصعدة السياسية والاجتماعية والثقافية، وكانت المفارقة من أقدر الأساليب على التعبير عن ذلك كله وتجسيده في الشعر، ومن هنا ازداد اعتماد الشاعر المعاصر عليها في بناء نصوصه الشعرية وتشكيلها، وأصبحت لازمة من لوازم الإبداع الشعري. فيلحظ أن "شعراء الحداثة هم من قادوا التطور في مسيرة المفارقة الذهبية على مستوى المصطلح والاستخدام، فشعراء الحداثة مارسوا المفارقة، ووظفوها مستفيدين من طبيعة المتناقضات التي ألفوها في العصر الحديث"(الخلايفة، 2021، 175). وكانت من المفارقات التي نلمسها في شعر الحداثة المفارقة التصويرية (الخلايفة، 2021، 174).

وقد تعددت تعريفات المفارقة عند النقاد والباحثين ووظائفها وأنماطها، ولعل من أبرز أنماطها هو المفارقة التصويرية.

وقد قام د. علي عشري زايد بتعريف مفهوم المفارقة التصويرية بقوله:"أنها تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض". ثم يشير الباحث إلى أنه على الرغم من أن النقد القديم والبلاغة العربية قد عرفتا لوناً من التصوير القائم علي التضاد، وعالجتاه تحت اسم "الطباق"في صورته البسيطة و "المقابلة"– في صورته المركبة– إلا أنهما لم يستعملا المفارقة التصويرية بوصفها مصطلحاً نقدياً أو بلاغياً، ولم يهتما بهذا التكنيك الفني الذي يختلف عن الطباق والمقابلة، سواء من ناحية بنائه الفني، أم من ناحية وظيفته الإيحائية؛ وذلك لأن "المفارقة التصويرية تقوم على إبراز التناقض بين طرفيها، هذا التناقض الذي قد يمتد ليشمل القصيدة برمتها، فتقوم كلها على مفارقة تصويرية كبيرة. .والتناقض في المفارقة التصويرية في أبرز صوره فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل، أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق فيما واقعه الاختلاف"(زايد، ٢٠٠٣، ١٣٠). والشاعر المعاصر يوظف هذه التقنية في تصوير التناقضات التي تبرز في بعض المواقف والقضايا، حيث تستطيع المفارقة التصويرية القيام بدور فعال في إبراز أبعادها(زايد، ٢٠٠٣، ١٣٠).

أما على مستوى النقد الحديث، فقد حظيت المفارقة باهتمام النقاد والدارسين، وعنوا بدراستها وتحليلها وتحديد أنماطها، حيث اعتبروها من أبرز الأساليب الفنية والمقومات الجمالية للخطاب الشعري.

وتعتمد المفارقة على الذكاء والذهنية المتوقدة في كثير من الأحيان، لأن المفارقة انحراف لغوي يجعل النص متعدد الدلالات والإيحاءات، فلا يجئ على نحو مباشر وصريح، بل يتلون بالدلالات الضمنية والإيحاءات الرمزية ؛ ولذلك فإن فهم المفارقة يتطلب ذكاءً لاستكشاف أبعادها، واستنباط دلالاتها، وفك رموزها.

فالمفارقة تركز أساساً على تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما تعتمد على العلاقة النغمية أو التشكيلية أو الطابع الغنائي أو العاطفي؛ فهي تصدر أساساً عن ذهن متوقد ووعي عميق للذات بما حولها (خضر، ١٩٩٨، 122).

كما أنها صيغة من التعبير تفترض من المخاطب ازدواجية الاستماع، بمعنى أن المخاطب يدرك في التعبير المنطوق معنىً عرفياً سطحياً، ومعنىً آخر عميقاً خفياً يرمي إليه، يحدده الموقف التبليغي، وهو معنى مناقض عادة لهذا المعنى العرفي الحرفي(العبد،١٩٩٧، ٣٧).

ولذا ترى د. نبيلة إبراهيم أن المفارقة هي "لعبة لغوية ماهرة ذكية بين طرفين، صانع المفارقة وقارئها على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تثير القارئ وتدعوه إلى رفضه بمعناه الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفي الذي غالباً ما يكون المعنى الضد"(إبراهيم، بدون تاريخ، ١٣٢).

إن وظائف المفارقة كثيرة ومتنوعة لدى النقاد، فلها وظائف دلالية وفنية وجمالية وبلاغية، لذلك تعد المفارقة خصيصة أسلوبية متميزة تلعب دوراً فاعلاً في إغناء النص وإثرائه، وفي نقل تجارب الأديب ورؤاه إلى المتلقين.

ويرى د. مصطفى السعدني أن هدف الشاعر من استخدام أسلوب المفارقة –غالباً–" هو "خلق نص جديد يحمل طبيعة الرؤيا المعاصرة التي تعددت أبعادها وتشابكت وتداخلت في تعقيد شديد"(السعدني، بدون تاريخ، ٢١٣).

ويعد د. عبد العزيز الأهواني المفارقة في أصلها الأول من سمات الشاعر، إذ أن أصلها هو الدهشة(الأهواني، ١٩٨٩، ١١).

يقول الباحث قيس حمزة عن تعريف المفارقة وأهميتها في الشعر : "المفارقة بنية تعبيرية وتصويرية، متنوعة التجليات، ومتميزة العدول على المستويات الإيقاعية والدلالية والتركيبية، تستعمل بوصفها أسلوباً تقنياً ووسيلة أسلوبية لمنح المتلقي التلذذ الأدبي ولتعميق

حسه الشعري، بوساطة الكشف عن علاقة التضاد غير المعهودة بين المرجعية المشتركة الحاضرة أو الغائبة والرؤية الخاصة المبدعة"(الخفاجي، 2007، 63).

ويقول الباحثان الوكيل محمد وأحمد إبراهيم عن وظيفة المفارقة وأهميتها في الشعر: "تعكس الرؤية المزدوجة في الحياة، فإنها خير ما يمثل الأدب.... وليس كل شاعر يستطيع أن يتلبس فلسفة المفارقة، فهي ليست لباساً خارجياً، بل فلسفة ونظرة جوهرية للعالم تتفجر العواطف والأفكار وتتقاطع الطريق لها... فقد تُضحك بمأساتها، وقد تُبكي بسخريتها "(محمد، بني عطا، 2018، 173).

وهي أيضاً وسيلة أسلوبية فعالة لإثراء اللغة بالإيحاءات والمجازات المدهشة، إضافة إلى دورها في تفعيل آليات التلقي عندما تكسر أفق التوقع، وتقيم علاقات جديدة بين الدال والمدلول(الشرفي، 2011، ٢٢٠).

وتشير الدكتورة نبيلة إبراهيم إلى بعض أهداف المفارقة، حيث يمكن أن تهدف إلى النقد الساخر، وقد تهدف إلى أن تكون ستاراً رقيقاً يخفي وراءها هزيمة الإنسان، وقد تدير المفارقة ظهرها للواقع وتقلبه رأساً على عقب، وقد تهدف إلى سبر أغوار قلب الإنسان، لتكشف لنا عما فيه من تناقضات واضطرابات (إبراهيم، بدون تاريخ، ١٩٨).

ولعل من أبرز الدوافع التي تقف وراء استعمال الشاعر للمفارقة هو محاولة النفاذ إلى جوهر الوجود الذي يتجاوز نطاق الحواس، وسبر أغوار العالم الباطني والحياة الداخلية، والتعبير عن مشاعر الفنان الدقيقة وأفكاره الخاصة (اليافي، 2008 م، 154).

ثانياً:المفارقة التصويرية في شعر أحمد مطر:

يعد أحمد مطر من الشعراء العرب المعاصرين البارزين، والمضمون المهيمن على شعره هو النقد السياسي، وقد شكّلت إشكالية الحاكم والمحكوم في العالم العربي والعلاقة بينهما حجر الزاوية في هذا النقد، لذا تجلت هذه الإشكالية في صور المفارقة الشعرية لديه بشكل بارز. ومما لا شك فيه أن الصورة من أهم خصائص الشعر الفنية، بل هي لبه وجوهره، ودراستها في شعر أحمد مطر سيتيح لنا التعرف على رؤيته والحكم على شاعريته وموهبته الفنية.

إن الصورة الفنية تلعب دوراً مهماً في النهوض بالرؤية وتجسيدها في الشعر، إلا أنها تكتسب أهمية مضاعفة عند توظيف المفارقة، ذلك أنها أقرب إلى ذهن القارئ من الفكرة المجردة، إذ تصوّر له الفكرة بطريقة موحية دالة معبرة (شبانة، ٢٠٠٠م، 204).

ومن هنا ازداد اعتماد أحمد مطر على توظيف هذا اللون التصويري–المفارقة التصويرية– عبر صور المفارقة المكثفة التي اختزلت الأشياء والأحداث لتصف ازدواجية الوجود برؤى جديدة تبرز فيها المتناقضات التي تناولها في إطار عمق رؤيته وسعة مخيلته، معتمداً أسلوبه الخاص المميز الذي اكتسبه من ثقافته الواسعة وذكائه الحاد وموهبته الفنية التي اسهمت جميعها في تكوين عالمه الشعري الخاص، حيث سعى جاهداً إلى نقد الأوضاع السائدة ووضع سبل العلاج الكفيلة بإعادة التوازن إلى أوضاع الحاكم والمحكوم في العالم العربي والعلاقة بينهما.

فذلك اللون التصويري يلقي ظلالاً متعددة، ويضفي أبعاداً جديدة على الصور الشعرية عند أحمد مطر. فقد وجد الشاعر فيه تلك الأداة الطيعة التي تقدم الكثير للتجربة الشعرية، وتحمل رؤيته وفكره إلى الجماهير، وتجذب انتباههم وتمتعهم.

ولعل أبرز ميزة للغة الشعرية عنده من خلال هذه الأساليب التصويرية أن الألفاظ والعناصر المتضادة ترد موحية بالدلالة الشعرية، مساهمة في رسم أبعاد الصورة الشعرية التي ينفذ بها إلى وجدان قارئه وعقله.

وهذا التميز فى استعمال المفارقة أضفى على صوره نمطاً خاصاً عرف به، أنه كان بهذا المسلك يقوم بصقل اللغة وتكثيفها، وكان يضع بابتكاراته توقيعه الخاص على عوالم شعرية جديدة، إذ يظهر في هذه الصور المفارقية عنصر الرأي الذاتي والفكر المنظم ووجهة النظر الثاقبة والحكمة الصائبة والنقد اللاذع والتعبير الفني المحكم والعرض المقنع المؤثر، وكلها سمات ساهمت في إكساب شعره القدرة على التأثير في الجمهور العريض وانتشاره بينهم حتى مع تعرض شعره بكثرة للمصادرة في عالمنا العربي، إذ يصر مطر على إقامة جسور التواصل بين نصوصه الشعرية وقارئه، كي يوصل له رؤيته للقضايا السياسية التي استحوذت على عقله ووجدانه، هذا بالإضافة إلى انتشار الاهتمام بشعره بين النقاد والدارسين، يقول أحمد مطر: "لأنني أصرّ، بوسيلتي الخاصّة البسيطة، على إيصال الكلمة الحرة الصادقة إلى أبعد رأس مغمور بضلالات الحكام ومرتزقتهم"(موقع الساخر، 1423). فهو يشعر بمرارة الواقع الكائن في العالم العربي وترديه، وهو كأديب ملتزم بنقد هذا الواقع سعياً إلى الإصلاح والرفض والمقاومة في وجه قوى الاستبداد والظلم والظلام.

وقد أشار عدد من الباحثين والنقاد إلى بروز تقنية المفارقة في شعر أحمد مطر، فيشير الباحث أحمد غنيم إلى ظاهرة المفارقة التصويرية في شعر أحمد مطر التي أصبحت سمة لازمة من سمات الشاعر وبصمة واضحة من بصماته، والتي أجادها ببراعة واقتدار (غنيم، ٦٧هـ، 121–122).

وتشير الباحثة أنسام محمد إلى أن المفارقة بالتضاد لإنتاج الصور الشعرية عند أحمد مطر هي النمط الأسلوبي الذي تميز به في أغلب نصوصه (راشد، 2018، 456).

أما الباحثة عزة عبد اللطيف، فتقول عن ظاهرة المفارقة في شعر أحمد مطر:""أما التشكيل الجمالي وأسلوب التقديم فقد غلب على طابعهما المفاجأة والسخرية القائمة على المفارقة التي تصدم توقعات القارئ بأساليب مختلفة مستخدماً كل إمكانات اللغة ليمنح نصوصه دلالات يلتقطها القارئ بشكل غير مباشر..، كما يحفزه على التفكير والتأمل ". وتؤكد الباحثة على أن أسلوب المفارقة من أكثر الأساليب "فاعلية واستخداماً في شعر أحمد مطر الساخر (عامر،، 2019، ١٤).

ويؤكد الباحث مسلم مالك على أن الشاعر أحمد مطر مثل أكثر الشعراء المعاصرين، أفاد من المفارقة في بناء كثير من نصوصه، لعكس الصراع والتناقض والاضطراب الحاصل من حوله بطريقة فنية تتميز بالتهكم والسخرية وكسر أفق التوقع لدى المتلقي(الأسدي، ٢٠٠٧ م، 208).

أما الباحث هشام حمد، فيشير إلى أن التجربة المطرية قد حفلت كثيراً بأسلوب المفارقة، لدرجة أن الغالبية العظمى من شعره قد بني على أساس هذا المصطلح، ويعزو الباحث سبب ذلك إلى "طبيعة الواقع الذي عاصره أحمد مطر، وهو واقع مليء بالتناقضات، الأمر الذي جعلها تنعكس على تجربته الشعرية فالأدب ما هو إلا مرآة لروح صاحبه". ثم يشير الباحث إلى أن المفارقة التصويرية كانت على رأس أنواع المفارقة التي وظفها الشاعر والتي راجت كثيراً في شعره (الكساسبة، 2016، 58-59، 71).

إن أحمد مطر من الشعراء العرب الأحرار القلائل الذين ناضلوا لإعلاء راية الحرية والديمقراطية، وقاوموا فساد الأنظمة الحاكمة واستبدادها، ولم يداهنوا أو ينافقوا السلطات الحاكمة، وكانوا شوكة في ظهرها، مما منح الشعر العربي السياسي جمالاً وحيوية وتأثيراً، وحتى بعد مقتل صديقه وتوأمه الروحي الرسام الكاريكاتيري الفلسطيني ناجي العلي في سنة 1987 م لم يتراجع بإزاء التهديدات أو يهادن ولم يبال بالنفي والتشريد من بلد لبلد، وظلت قضايا أمته حاضرة بقوة في شعره أينما حل وارتحل، يقول أحمد مطر في قصيدة ثائرة يرثي فيها ناجي العلي معبراً عن سخطه وتمرده:

وألقِّنُ الأطفالَ أنَّ عروشَهم
زبدٌ أُقيمَ على أساس الماءِ
وألقِّنُ الأطفالَ أن جيوشهم

قطعٌ من الديكورِ والأضواءِ
وألقِّنُ الأطفالَ أن قصورَهم
مبنيةٌ بجماجمِ الضعفاءِ
وكنوزَهم مسروقةٌ بالعدِل
واستقلالهم نوعُ من الإخصاءِ
سأظلُّ أكتُبُ في الهواءِ هجاءهم
وأعيدُهُ بعواصفٍ هوجاءِ
..
لو لم تَعُدْ في العمرِ إلا ساعةٌ
لقضيتُها بشتيمةِ الخُلفاءِ ! مطر، 2011، 8-9

ولعل الأبيات السابقة تلخص لنا منهج أحمد مطر الشعري، فقد شكّلت إشكالية الحاكم والمحكوم والعلاقة بينهما بؤرة اهتماماته في شعره السياسي، مدافعاً بقوة عن حقوق الأمة العربية في الحرية والديمقراطية، رافضاً هذا الخلل الحادث في تلك العلاقة الشائكة المعقدة بين الحاكم والمحكوم، فاضحاً ممارسات الحكام المستبدين العملاء الذين لم يتوانوا عن بيع الوطن للأعداء مقابل حماية بقائهم على كراسي الحكم، واستعبدوا الشعوب وانتهكوا حقوقها وكرامتها وقضوا على أحلامها وطموحاتها، منتقداً في الوقت ذاته سلبية الشعوب في الخضوع والاستسلام لهؤلاء الحكام، إذ أن "تلك الحكومات لم تنزل من السماء بالمظلات، إنما هي نتيجة وضع شعبي مختل"-كما يقول أحمد مطر- (موقع الساخر، 1423هـ) ففرعون "لن يقول (أنا ربّكم الأعلى) إلا إذا رأى حوله عبيداً يطيعونه حين يُضلّهم"(موقع الساخر، 1423هـ).

فهو شاعر جرئ حر يأبى حياة الذلة والمهانة التي تكرسها الأنظمة السلطوية وتفرضها على شعوبها (موقع ويكيبيديا، بدون تاريخ). فتتكشف لنا رؤية أحمد مطر لمهمته، ودعوته للحرية ومقاومة الأنظمة الاستبدادية في شعره السياسي.

وقد دفع ثمن ذلك الموقف غالياً من حياته وتشرده وتغربه في المنفى وتهديد حياته بالقتل، لأنه يؤمن بأن الفنان الحقيقي هو الفنان الصادق الحر الذي يشعل مشاعل النور لجماهيره، ويحفز فيهم روح المقاومة والرفض لكل ما هو سلبي وقبيح.

فهو يؤمن بدور الشعر في التمهيد للثورات وإسقاط الأنظمة المستبدة عبر كشف الحقائق والتحريض ونشر الوعي بين الجماهير، ومن ثم دفعها للإصلاح والتغيير والثورة.

يقول أحمد مطر عن أهم أهداف لافتاته:"وعندما تستطيع هذه المظاهرة أن تسهم في إسقاط الطواغيت، فإنني سأعود إلى البيت لأستريح.. وأهنأ بالأمان والطمأنينة... وقد يخرج طاغوت جديد من تحت الأنقاض، فأعود مجدداً لأخرج في مظاهرة لإسقاطه. من يدري ؟!"(حسن، 1987، ص53).

وهكذا هو شاعر صادق جرئ متوقد بالتمرد والثورة، يحمل دائماً من خلال شعره لافتات لمظاهرة حاشدة لإسقاط الطواغيث في العالم العربي، يقول أحمد مطر: "ارتباطي: هو بقضية كل إنسان ضعيف ومستلب. "

"شغلي: هو كنس العروش الفاسدة"

"مكسبي: احترامي لذاتي"

"خساراتي: أرباح، أصبحت لكثرتها أغنى الأغنياء (المسعودي، 1998م).

وموهبة أحمد مطر وفكره المتوقد وإرادته المتمردة منحت قصائده تميزاً في ساحة الشعر العربي المعاصر، حيث امتلك القدرة على الجمع بين عمق المضامين الهادفة وإحكام البناء الفني والتشكيل الجمالي، كما أن ذلك حجز له "مكاناً مريحاً يتصدر به مهرجان القصيدة المنبرية أو الجماهيرية أو التحريضية"، ورفعه "لمصاف الشعراء العالميين الذين لا تحدّهم حدود "(راشد، 2018، ٤٥١). وهكذا أضحى شاعراً فاعلاً على مستوى الشعرية العربية، حيث تميز مساره الإبداعي بخصوصيات الطرح الشعري الذي يجمع بين الأنا والآخر، كما ينقد سلبيات واقع العالم العربي التي يسعى إلى فضحها، من خلال توظيف المفارقة الساخرة، في إطار إدانة الأنظمة الحاكمة المستبدة، وتجسيد قضايا الأمة العربية وتحريضها على النهوض والتمرد(عبد الله /حنيف، 2021، 155).

الخصائص الأسلوبية:

لعبت المفارقة التصويرية في شعر أحمد مطر دورا محوريا في إيصال فكره حول إشكالية الحاكم والمحكوم إلى جماهير القراء، وفي التعبير عن قضايا الشعوب العربية وأزماتها، وإبراز تناقضات الواقع المعيش وأشكال التباين الكبير بين النظرية والتطبيق وأنماط الفجوة الواسعة بين الشعارات البراقة والعبارات الرنانة والممارسات الفعلية القائمة على أرض الواقع، وتعمل هذه المفارقات والمتعارضات على تنوع أشكال حضورها في شعر أحمد مطر على تعزيز الرؤية ووجهات النظر وإثراء النص نفسه، وتستثير ذهن القارئ وتدفعه إلى محاولة فهم الدلالات العميقة لتلك المفارقات، بما يسهم في دفعه إلى التحرك والرغبة في التغيير والإصلاح.

إن كل ما يتصل بمقومات التركيب والأسلوب يساعد في تجلية الفكر الإصلاحي والنقد السياسي، فقد اتخذها الشاعر أحمد مطر وسيلة للوصول إلى القراء والخروج إلى حيز الوجود الفاعل، ومن هذه المقومات المفارقة التصويرية التي تقوم على التناقض والتقابل. فالظواهر والخصائص الأسلوبية ليست مجرد صورة بلاغية ولغوية تأتي لتنضاف إلى تركيب مكتمل كي تزينه، بل إنها هي التي تصنع المعنى، وتكشف عن حوافز القول وغاياته. ولا نستطيع أن نفصل بين الصورة وبين الأسلوب الذي يوظفه الشاعر ليضيف إلى المعنى ما يكمله وليخدم الفكرة، فلا يسعى للأساليب لذاتها، وإنما ليضخ فى الصورة الشعرية دلالات موحية لا حصر لها.

وقد كان مطر على وعي تام بذلك، فيرى أن الشعر الجيد هو الذي يجمع بين صدق المضامين الهادفة وبين إحكام البناء الفني وبراعة الأسلوب في الوقت ذاته، فيقول:"فينبغي أن نصرخ ملء أفواهنا أن "أعذب الشعر أصدقه "لأن وصف حاكم ظالم بأنه عادل، أو وصف حكومة جائرة بأنها منصفة، وفق كل أساليب البلاغة الجميلة، هو أمر لاصلة له بالعذوبة لكنه ذو صلة بالعذاب... فكما أن الصدق وحده بغير جمال، لا يكفي لصناعة شعر جيد، كذلك لا يكفي الجمال وحده دون صدق، لصناعة شعر جيد"(حسن، 1987، 54).

وأسلوب أحمد مطر بشكل عام أدبي بلاغي ممتع يتسم بالتنويع، والتتابع، والتدفق، والتصوير القائم على التجسيم والتشخيص والتجريد، والإيقاع المنغم الموزون والمحسنات البديعية، والدقة في عرض الأفكار والرؤى. وقد برع في تخير الألفاظ العربية الفصيحة والملائمة بينها في جمل متراصة متوازية.

إن النقد الأدبي لا يعني بالأسلوب من حيث كونه ألفاظاً ومفردات وحسب، وإنما يعني بكافة مقومات أسلوب العمل الأدبي وما يتفاعل فيه من نظم وعلاقات وعمليات، وملائمة هذا كله للمضمون أو الموضوع، وبهذا يصبح في مجال دراستنا هذه الكشف عن المضمون السياسي ومتابعة الصياغة الأسلوبية للعمل الأدبي مهمة واحدة متكاملة في إطار الرؤية الشاملة لطبيعة العمل الفني القائمة على الوحدة بين الشكل الفني والمضمون. وهذا ما سنحاول التركيز عليه الآن بدراستنا لأبرز الخصائص الأسلوبية للمفارقة التصويرية في شعر أحمد مطر، وأكثرها شيوعاً، وأثرها في إبراز المضامين السياسية والأفكار الإصلاحية وإيصالها إلى المتلقي، ولا سيما فيما يتعلق بإشكالية الحاكم والمحكوم والعلاقة بينهما.

وسنتعرف على محاولات الشاعر توظيف المفارقة التصويرية لكي تلائم الشكل الفني، وتستوعب –فنياً– مشكلات الحياة والمجتمع، وتخاطب الجمهور القارئ العريض. فهذه الدراسة ستساعدنا في الكشف عن مدى صدق التجربة ودقة الشاعر في التعبير عن قضايا الشعوب العربية، وفي فهم مضامين النص الشعري.

أولاً:السرد القصصي:

يعتمد أحمد مطر على أسلوب السرد القصصي في بناء بعض مفارقاته التصويرية، لقص سلبيات الحاكم ومآسي المواطن العربي، وتصوير تناقضات الواقع ومرارته وإدانته. وقد عكست هذه النصوص الحكائية ما لديه من مقدرة هائلة على تصور الحدث، وتجسيده في قصص مشوقة ممتعة.

فيعتمد الشاعر كثيراً على أسلوب السرد والحوار؛ فمن المعروف أن النفس الإنسانية تميل إلى السرد والحكي بطبيعتها أكثر من التلقين والتقريرية أو الخطابية، فهذا الأسلوب يضفي الحيوية والمتعة على جو النص الشعري، فضلاً عن التأثير في القراء، وجذب انتباههم لمتابعة قراءة النص.

ومن ذلك ما نراه حينما رسم الشاعر صورة لتعامل الحكام العرب المتناقض مع الصهاينة وشعوبهم، فبينما يعاملون شعوبهم باحتقار وقسوة، فإنهم يعاملون الصهاينة باحترام ومحبة. فيسرد موقفاً حدث له مع شرطة الحدود:

رأيتُ ما أذهلني
في المركز الحدودي
دخلتُ، فاستقبلتني الشرطة بالورودِ
وأهّلوا وسهّلوا وقبلوا خدودي
قالوا بمنتهى الأدبْ
"شرّفتَ يا أخا العربْ"
ياللعجب!
لم يحجزوا أمتعتي
لم يسلبوا نقودي!
لم يطلبوا هويّتي
لم يلعنوا جدودي!
كنتُ لفرطِ لُطفهمْ

أختالُ حرًّا آمنًا

كأنني يهودي!!

أفقتُ من غيبوبتي في المركز الحدودي

ولم يكن في حوزتي شيءٌ سوى قيودي (مطر، ٢٠١١، ٢٩٤).

فلو كان الشاعر يهودياً، لعاملته الشرطة الحدودية معاملة أخرى. فقد تميزت صور المفارقة لدى مطر بالثراء والخصوبة والتلوين بالسخرية المرة من خلال إبراز المتناقضات الصارخة في حياة الشعوب العربية تحت سلطة أنظمة مستبدة عميلة.

وهنا نجد أن المفارقة في النص السابق "ترتبط بالتظاهر بالبراءة، وقد يصل الأمر إلى حد التظاهر بالسذاجة أو الغفلة"(عبد الحفيظ، 2017، 77)، إذ "لابد من وجود ضحية في المفارقة"(عبد الحفيظ، 2017، 77)، وقد تكون أنا المبدع هي الضحية للمفارقة، وهو ما نلمسه في النص السابق.

وهكذا يمضي السرد في لافتات أحمد مطر قائماً على المفارقة التصويرية الفنية الغنية بالدلالات والإيحاءات، فيقول:رئيسُنا كانَ صغيراً و ا نفَقَدْ

فانتابَ أُمَّهُ الكَمَدْ

وانطَلَقتْ ذاهِلَةً

تبحثُ في كُلِّ البَلَدْ.

قِيلَ لها: لا تَجْزَعي

فَلَنْ يضِلَّ للأبَدْ.

إنْ كانَ مفقودُكِ هذا طاهِراً

وابنَ حَلالٍ.. فَسَيلْقاهُ أَحَدْ.

صاحتْ:

إذنْ.. ضاعَ الوَلَدْ! (مطر، ٢٠١١، ٢٤٤).

فقد برع مطر في رسم تلك الصورة الساخرة للحاكم العربي التي اعتمدت على المفارقة، والتي تشي بمدى سخطه على الحكام العرب الذين يصفهم بأنهم "أولاد حرام". وفي هذه المفارقة في القصة سخرية تضحكنا، لكنه ضحك مر كالبكاء، لأنها سخرية مريرة وكوميديا سوداء.

وهذه الجرأة في نقد الحاكم العربي ترجع إلى إصرار أحمد مطر الكبير في لافتاته على "تكسير صورة "الحاكم المقدس"في التمثل الذهني للشعوب العربية من خلال مجموعة من التقنيات الجمالية القوية الوقع النفسي أوسعها توظيفا: تقنية الحط من قيمة الحاكم

الرمزية.. لتغيير سيكولوجية الإنسان العربي المقهور، في أفق الرفع من نظرة هذا الإنسان إلى الحياة.... حياة يكون فيها الحاكم خادماً أجيراً وليس "إلها"أو قديساً "(أمزير، بدون تاريخ، 81).

ويلحظ في صور المفارقة القائمة على الأسلوب القصصي لدى أحمد مطر أنها غالباً لا تعتمد على وصف تفصيلات وتفريعات وصور طويلة، وإنما تعتمد على التركيز والتكثيف الموحي وتتابع الحركة والخبر السردي، يعلو فيها نغمة الغضب والنقمة حيناً، والسخرية والاستهزاء حيناً آخر بإزاء إشكالية الحاكم والمحكوم في عالمنا العربي.

وهكذا تقوم المفارقة التصويرية في قصائد مطر على إبراز التناقضات الحاصلة في قضايا سياسية شائكة شديدة الالتصاق بحياة الشعوب العربية، أهمها إشكالية العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وهي مفارقات يعمد من خلالها إلى محاولة إعادة التوازن إلى هذه العلاقة بعد اختلالها في ظل مفاهيم خاطئة وأوضاع سلبية، في مسعى منه إلى إحداث الإصلاح والتغيير. فقد اتخذ من هذه المفارقات وسيلة فنية لخرق الواقع، وتجسيد رؤية متميزة جديدة ومفاجئة.

ثانياً:التناص:

يعتمد الشاعر أحمد مطر على التناص في تشكيل مفارقاته التصويرية في إطار وعيه التام بدور التراث في تجسيد الفكرة وإبراز الرؤية، بوصفه مصدراً من مصادر الإلهام والإبداع الفني يمكن الإفادة منه في النهوض بقضايا الحاضر واستيعاب الواقع المعيش ودفعه إلى التغيير والإصلاح وفق رؤية واعية تصل الماضي بالحاضر وتنطلق إلى المستقبل. فتتنوع في صور المفارقة لدى أحمد مطر طرائق توظيف التراث واستلهامه، ويتوزع في روافد عدة أبرزها:الديني والتاريخي والشعبي والأسطوري والأدبي، وقد ساهم ذلك بفعالية وحيوية في خلق صورة المفارقة في قصائده، فتتشابك في نسيج نصوصه معطيات التراث وصور الحاضر المعيش لتغدو معلماً بارزاً من معالم صوره المفارقية.

فقد ألح مطر على توظيف التناص في تشكيل صور المفارقة التي تمثل الحاكم العربي والمواطن العربي، والشاعر "بهذا التناص المتواصل وهذا التوالد المستمر لصوره يساعد على طبع تلك الصور المليئة بالتعبير عن المأساة في ذهن متلقيه.. فيثير فيه اكبر مساحة من الاهتمام والتعايش مع الحدث بل إلى الانخراط في صفوف أولئك المحرومين والمضطهدين والرافضين للواقع الثائرين عليه"(الأزرقي، 2010 م، 69).

فللتناص دور فعال في بناء المفارقات، فهو يكتسب "اهمية متزايدة حين الحديث عن المفارقة، إذ يمارس دوراً مهماً في توجيه دفة المفارقة نحو التصعيد أو التهدئة. إن شاعر المقارنة حين يوظف. التناص، فهو إنما يرمي إلى التعبير عن الواقع"(شبانة، ٢٠٠٠م، 216؛وراجع أيضاً: السعدني، ١٩٨٧، ٢٣). والتناص يمكن أن يتداخل مع المفارقة باعتبار أن التناص قائم على التناقض (مفتاح، ١٩٨٨٥، ١٢١).

ومما لا شك فيه أن هذا التوظيف للتناص في تشكيل المفارقة يلائم معطيات هذا العصر في العالم العربي، فحينما "تشتد التناقضات في الأحداث السياسية الضخمة والقاسية وتسوء الأحوال، يلجأ الشاعر إلي استخدام التراث ولكن ليس مهمة الشاعر «المتمكن إعادة سرد الحادثة التاريخية، أو عرض الشخصية التراثية كما وردت في مصادرها، بل عليه أن يقدم فهمه الخاص ورؤيته الفنية ليعبر عن فهمه الجديد"(بهروزي، 2019، ٣٥٥).

ومن أمثلة ذلك توظيف الشاعر لتناصات دينية وشعرية في تصوير انحراف الحكام العرب، لاسيما الخليجيين، الذين يهدرون ثروات البلاد العربية على الدعارة وتحت أقدام الغواني لإشباع ملذاتهم، فيقول: أبصرتُ في بيتِ الحرامِ

خليفةَ (البيتِ الحلال)
مُتخففاً من لبسهِ زُهداً
فليس عليهِ من كُلّ الثيابِ
سوى العِقالِ!
و لو اقتضى حُكمُ الشريعةِ خلعَهُ
لرمى بهِ
لكنهُ.. شرفُ الرجالِ!
ورأيتُهُ يتلو على سَمع الموائدِ
ما تيسّرَ من لآلي
من بعدما صَلى صلاةَ السهوِ
في ((سو هو))(

ثم يدور في المقطع التالي من القصيدة حوار بين الشاعر وهذا الحاكم :

لمّا رأى في مقلتي
شرر انفعالي
قطع الفريضةَ عامداً

وأجاب من قبلِ السؤالِ
على سؤالي:
قد حرم اللهُ الرّبا
لكنني رجلٌ
أُ وظفُ (رأس مالي)
ما بين أجساد القِصارِ
وبين أجسادِ الطوالِ!
يا صاح
إن (الفتحَ) منهجُنا الرسا لي!
أدري
بأن الفتحَ يُهلِكُ صِحتي
أدري
بأن السُهدَ يُذبلُ مُقلتي
لكنّ من طلبَ العُلا
سَهِرَ الليالي!! (مطر، ٢٠١١، ٩٦).

فهي قصيدة رائعة تشتمل على صور مفارقية ساخرة معبرة للواقع المرير الذي تتسلط فيه فئة منحرفة من الحكام على الشعوب العربية، مستوحاة من التراث الديني والشعري. والتناصات الدينية هنا لم تؤد مفهومها الدلالي المتعارف عليه، بل تم توظيفها لتؤدي دلالات معاكسة لذلك؛ فهذا الحاكم المنحرف لا يؤدي شعائر دينية، وإنما يؤدي شعائر الرذيلة والتهتك، ف"البيت الحرام"كناية عن أماكن البغاء والدعارة، وليس المقصود به الكعبة المشرفة، و"مُتخففاً من لبسه زُهداً "هي دلالة على التهتك والتعري، وليس المقصود بها أداء شعائر الإحرام. ويستمر الشاعر في تصوير شعائر العهر التي تمارس بين الحاكم وإحدى العاهرات مستخدماً تعبيرات مقتبسة من العقيدة الإسلامية من مثل: يتلو ما تيسر –صلاة السهو –فريضة –حرم الربا –الفتح.

وهذا الحاكم يعتبر أن العلو هو التهالك على ملذات الدنيا، والهيام في الحانات وأندية القمار، والتخلي عن واجبه تجاه شعبه، ولكن العلو في نفسه سقوط، والنجاح الظاهر فشل وانهزام، فهذه درجة مفارقة تصويرية واسعة الأبعاد متعددة الجوانب في امتدادها إلى واقع النظام الحاكم الفاسد القائم على أسس غير سليمة، ومن ثم فلابد من إسقاطه.

فمطر لا يكتفي بإيراد الاقتباسات كما هي، بل يخلق منها صوراً مفارقية متعددة الوجوه وغنية الدلالات ذات أبعاد جديدة تسلط الأضواء على واقعه المعاش ورؤيته لإشكالية الحاكم والمحكوم في العالم العربي. ولعل الاقتباسات الدينية الإسلامية على وجه الخصوص تلعب دوراً متميزاً في هذا الميدان لديه، فيقول في ذلك الباحث عبد المنعم محمد:"إنه الشاعر الثائر على كل ألوان الفساد والانحراف والطغيان، وإنه الشعر المتموج بكل مسوح والثورة على كل أشكال الخزي والإذلال..، وما كان ذلك ليظهر لولا تشبع نفس مطر لهذا الفكر القرآني الذي خلق جوا مشاعرياً مستنيراً أنشأ فيه بنايات شامخة، بحيث تكون على كل واجهة منها لافتة"(سليمان، 2005، 2).

ونتعرف من خلال الاقتباسات والتناصات في مفارقاته التصويرية إلى واقع الشعب العربي الذي يئن تحت وطأة السلطة الغاشمة والفساد والظلم والقهر ومصادرة الحريات والتراجع على كافة المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية. فقد كان مطر على وعي تام بالمشكلات التي "يعاني منها الشعب بمختلف طبقاته في ظل سلطة حاكمة غاشمة جردته من مقوماته الإنسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحرمته من ممارسة كل ما لديه من تقاليد وأعراف"(عبدالعالي، 2012، 150–151).

فيقول أحمد مطر:

في زمانِ الجاهليَّهْ
كانت الأصنامُ من تمرٍ،
وإن جاعَ العبادْ،
فلهم من جثَّةِ المعبودِ زادْ،
وبعصرِ المدنيّه،
صارت الأصنامُ تأتينا من الغربِ
ولكن بثيابٍ عربيَّهْ،
تعبدُ اللهَ على حرفٍ، وتدعو للجهادْ
وتسبّ الوثنيَّهْ،
وإذا ما ستفحلتْ، تأكلُ خيراتِ البلادْ،
وتحلّي بالعبادْ،
رحمَ اللهُ زمانَ الجاهليَّهْ (مطر، ٢٠١١، ٣٩).

هنا يعقد الشاعر مقارنة بين أصنام الجاهلية الغابرة وأصنام الواقع المعاصر، حيث أصبحت الأصنام هي حكام العرب الذين يسلطهم الغرب على الشعوب العربية ينتهكون

حقوقها وينهبون ثرواتها، فهم أسوأ من أصنام الجاهلية التي كان لها بعض النفع، إذ على الأقل يمكن أكلها حين الجوع، بينما ينعدم أي نفع لهؤلاء الحكام العرب، بل إنهم قد يأكلون شعوبهم. وبسبب بشاعة الواقع المعاصر وانحطاطه، أصبحنا نترحم على عصر الجاهلية على الرغم من أنه من العصور المتدهورة. فهذه المفارقة بين الماضي والحاضر فجّرت معاني الصورة، وزادت من تأثيرها، وعمّقت أبعادها.

فالشاعر لا يستحضر النصوص والاقتباسات التراثية بغرض التحلية اللفظية أو استعراض ثقافته، وإنما ليكشف فكره، وليبلور موقفه تجاه قضايا واقعه المعيش، ولا سيما ما يتعلق بإشكالية العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فيدمج تلك التناصات والاقتباسات في علاقات داخلية تظهر خلالها متآلفة مع البناء الفني، ويصوغها وفقاً لرؤيته الشعرية والوجدانية، لتشكّل في النهاية صورة مفارقية تتناغم ومنطق نصوصه.

وهكذا يبرع أحمد مطر في إخضاع التراث بمختلف منابعه ومصادره لفنه الشعري، مما مكّنه من إحكام رسم مفارقاته التصويرية وإثرائها، فإن استلهام التراث في شعره ظاهرة فنية بارزة ومميزة.

ثالثاً:أسلوب السخرية:

يلجأ الشاعر إلى أسلوب السخرية في بناء مفارقاته التصويرية، وهذا الأسلوب من أبرز الأساليب وأمتعها، وفيه سهولة توصيل رسالة الأديب إلى القراء وهم يستمتعون بالسخرية والضحك في الوقت ذاته. كما أن السخرية تقوم بشكل أساسي على المفارقة وترتبط بها بشكل وثيق، يقول سعد مصلوح في ذلك: "إن ثمة فنونا من القول والكتابة [...] السخرية وغيرها تعتمد في تشكلاتها الأسلوبية وفي بلوغ غايتها من التأثير والإبلاغ على المفارقة القائمة بين أجزاء المقال، أو المفارقة القائمة بين المقال والمقام. وما ينشأ عن هذه المفارقات من خذلان للتوقع يتحقق به التأثير الأسلوبي المراد. ومن ثم فإن العلاقة بينهما في هذا الصدد يراد لها أن تخالف قصداً عن المألوف والمتوقع "(مصلوح، ١٩٨٩، ١١٥).

والحقيقة المؤكدة التي تفرض نفسها على قراء أحمد مطر أنه كان شاعراً مشبعاً بروح السخرية، ذا براعة فائقة في الوصف، ودقة في التصوير، فالتزم أسلوب السخرية في الكثير من مفارقاته التصويرية متناولاً الواقع المر المتردي بالنقد اللاذع الساخر، وقد يبالغ في وصفه الساخر شأن الرسامين الكاريكاتيريين، فيلجأ إلى التصوير الكاريكاتيري في المبالغة والتشويه، فيثير الضحك والسخرية، معتمداً في نقده اللاذع على الذوق والعقل في محاولة منه لإبراز العيوب والعلل والمساوئ للحاكم والمحكوم، والكشف عن حقائق الواقع

المعيش، وفضح الممارسات السلبية، مما يخدم النص ويساير البناء الفني ويضفي على الأسلوب مسحة من الحيوية والمتعة والجاذبية ويؤكد المعنى ويثير الرغبة لدى القارئ في محاولة تعمق فهم ما يرمي إليه الشاعر ويقصده، ومن ثم دفعه إلى الفعل والتحرك والإصلاح.

وعلى الرغم من أن هذه الصور المفارقية الساخرة تدفعنا إلى الضحك، لكنه ضحك مر يشعرنا بمرارة الواقع العربي وترديه، فشر البلية ما يضحك، فهو ضحك من شدة البكاء، وهي سخرية مريرة الطعم قاسية اللذع، وأثرها بالغ، لاسيما حين تتصل بالنقد السياسي لإشكالية العلاقة بين الحاكم والمحكوم، يقول أحمد مطر:"فأستعرض شر بليّتنا، وشر البلية ما يضحك أحياناً، لكنه ضحك مرّ، لأنّ النكتة مرّة سوداء، فهو ضحك من شدّة البكاء"(حسن، 1987، 54).

إن خطاب التمرد والرفض والثورة وتأجيج المجتمع ضد السلطة الحاكمة عند أحمد مطر، جعله يمتلك رؤية كونية ذاتية مميزة في نظرته للواقع والكون والمجتمع بالمقارنة بأبناء جيله من الشعراء موظفاً في ذلك سمة أسلوبية متميزة هي اختيار الألفاظ الساخرة من الواقع السياسي والاجتماعي العربي، فهو شاعر سياسي من الدرجة الأولى(الربيعي/ عمران، 2023، ٣٤٠).

فنرى الشاعر حينما وظف أسلوب المدح الذاهب به مذاهب النقد والذم للتهكم والسخرية من فقر الشعوب العربية في قوله: نحنُ لَسنا فقراء.

بَلغتُ ثروتنا مليون فقْر
وغدا الفقر لدى أمثالنا
وصفاً جديداً للثراء
وحْدَهُ الفقر لدينا
كان أغنى الأغنياء! (مطر، ٢٠١١،، ٣٢٤)

فهذه المفارقة التصويرية الموحية التي صار معها الفقر هو أغنى الأغنياء في العالم العربي، تبرز أزمة فقر الشعوب على الرغم من الموارد والثروات الهائلة الموجودة في العالم العربي. لقد اعتمد الشاعر – في أحيان كثيرة– لتصوير واقع الشعوب العربية وقضاياها المتأزمة، خاصة غياب العدالة الاجتماعية والمساواة وشيوع الفقر المدقع والبؤس الشديد، على ألوان من التقابل والتضاد، ورسم لنا صوراً فنية دقيقة غنية بالحركة والأحاسيس والانفعالات، وهي صور تعتمد أيضاً على التشخيص والتجسيم، مما يؤثر في

فكر القارئ ووجدانه، ويجعله ينفعل ويسخط على الطبقة الحاكمة المستغلة الفاسدة التي أفقرت الشعوب ونهبت ثرواتها وتركتها ترزح تحت وطأة الفقر والبؤس.

إن السخرية تنشأ من التناقضات الصارخة والمفارقات الواسعة الحاصلة في الحياة الواقعة، كما أن السخرية تخدم المضمون من ناحية الصياغة، وتشحنه بطاقة فنية تجعله سريع الوصول، سريع التاثير، دائم الحضور في الأذهان، فيقدم الشاعر صورة ساخرة للحاكم على لسان الحاكم ذاته: قال مِحقان بن بلاّع ال.. عصير :

قيل إني لي عقارات ولي مال وفير
إنه وهمٌ كبير
كل ما أملكه خمسون قصراً
أتّقي القيظ بها والزمهرير
أين أمضي
من سياط الحر والبرد؟
أطير؟ !
ورصيدي كله
ليس سوى عشرين مليارا
فهل هذا كثير؟ !
...
وأشاعوا أنني أنظر للشعب
كما أنظر للدود الحقير !
فووووو وو !!
إلهي.. أنت جاهي بك منهم أستجير.
قسماً باسمك إني عندما أرنو لشعبي
لا أرى إلا الحمير !
ويقولون ضميري ميت !
كيف يصير؟ !
هل لأتاهم خبر عما بنفسي
أم هم الله الخبير؟ !

كذبوا.. فالله يدري أنني من بدء عمري لم يكن عندي ضمير(مطر، ٢٠١١، ٢٥6-257).

فصاحب الموقف هنا هو الحاكم، يجلب على نفسه المفارقة التصويرية الساخرة دون وعي منه، حيث يبدو أعمى عن الحقيقة واثقاً في حمق وبلادة وغرور متعالياً على الشعب.

فهي صورة كاريكاتيرية للواقع المر التي تبرز روح النقد الساخر، وتكشف عن إحساس دقيق بمفارقات الواقع الأليم، وقد قدّمها من خلال حوار يدور على لسان الحاكم وطرح الأسئلة والأجوبة مع التظاهر بالجهل والغفلة وقول ما يعاكس الحقيقة والواقع.

ومن ذلك التصوير الكاريكاتيري يبين لنا سخرية الشاعر من ديكتاتورية نظام الحكم واختلاله، ويبين فيه الجهد الذهني للشاعر من خلال استخدام ذكائه وفطنته وسرعة بديهته وخفة روحه، فهذا التصوير المختار بعناية يتوافق والفكرة المطروحة.

فالشاعر الرافض لممارسات الأنظمة السلطوية يواجهها بالمفارقات الساخرة والكوميديا السوداء التي تثير الضحك، لكنه ضحك مر. وأمثال تلك الصور تعمّق المعنى، وتكثف دراميته، وتصعد مأساويته، وتحمل في طياتها في حقيقة الأمر غضب وحنق الشاعر وتمرده.

وهكذا نرى مدى قيمة دور النقد الساخر الوظيفي في شعر أحمد مطر في رسم صور المفارقة اللفظية والموقفية الماثلة على أرض الواقع المعيش بين النظرية والتطبيق، بين الحلم المأمول والواقع الكئيب، حيث يعج هذا الواقع بالظلم والقهر والفساد المتحقق على أيدي أولئك الحكام الانتهازيين المتشدقين بشعارات الحرية والرخاء والعدالة.

فتتوالى في النصوص الشعرية لأحمد مطر الصور المفارقية الساخرة وصور معاناة الشعب، لتؤكد ضرورة التحرك والإصلاح، ولتنمي روح الرفض والتحدي، ولتعزز دور الثورة على سلبيات الواقع الكائن.

رابعاً:الأساليب الإنشائية:

اعتمد أحمد مطر في بناء مفارقاته التصويرية على توظيف الأساليب الإنشائية مثل الاستفهام والنداء والأمر والنهي، بما لهذه الأساليب من قدرة على التأثير في المتلقي ونقل الرؤى والأحاسيس إليه، وقدرة على التشكيل الجمالي للأسلوب التصويري وتعميق أبعاده وإثراء دلالاته.

فيحث الشاعر الشعوب العربية على استرداد حقوقها من حكامها ومعرفة ما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فالحاكم هو موظف لدى الشعب في حقيقة

الأمر، وعليه أن يخدم الشعب ويخضع له، لا العكس. فيبين للشعوب أن لقبُ "الوالي "لفظٌ لَبِقٌ مِنْ شِدّةِ لُطفِهم يطلقونه، فينبغي أن لا يخشى المالِكُ خادِمَهُ، ويتوسّلُ أن يرحَمَهُ، ويطلُبُ منهُ التّبريكْ. ثم يتساءل مستنكراً:

فلِماذا تعلو، يا هذا،
بِمراتبِهِ كي يُدنيكْ ؟
ولِماذا تنفُخُ جُثّتَهُ
حتّى ينْزو.. ويُفسّيكْ ؟
ولِماذا تُثبِتُ هيبتَهُ..
حتّى يُخزيكَ وَينفيكْ ؟! (مطر، ٢٠١١، ٢٥٩).

ثم يقول:

العِلّةُ ليستْ في الوالي..
العِلّةُ، يا شعبي، فيكْ.
لا بُدّ لجُثّةِ مملوكٍ
أنْ تتلبّسَ روحَ مليكْ
حينَ ترى أجسادَ ملوكٍ
تحمِلُ أرواحَ مماليكْ! (مطر، ٢٠١١، ٢٥٩).

ففي هذه الأبيات يقر الشاعر حقيقة مهمة مفادها أن مسؤولية تدهور الأوضاع والخلل القائم في الأنظمة السلطوية لا تقع وحدها على الحكام، بل يشارك فيها أيضاً الشعوب التي ليس لديها وعي بحقوقها، ويتلبسها روح الخضوع والخنوع والذلة والعبودية. فلو كانت هذه الشعوب شعوباً قوية واعية، لما تسلطت عليها الأنظمة الفاسدة بهذا الشكل وتجبرت. ولعل استخدام أسلوب النداء مع تكرار أسلوب الاستفهام في حوار الشاعر مع الشعب العربي، قد ساهم في إبراز حدة المفارقة بين ما هو كائن بالفعل على أرض الواقع وبين ما ينبغي أن يكون عليه هذا الواقع.

وهذه الأبيات تحفل بقوة التركيب وتلقائية المطابقات وعدم افتعالها وعمق الأفكار التي يريد الشاعر تصويرها، قد أضفى عليها الاستفهام والنداء حيوية وتألقاً بحيث يدفع المتلقي إلى التأمل في الصورة المفارقية.

ومن خلال توظيف المفارقة التصويرية يفضح الشاعر ممارسات النظام السلطوي الديكتاتوري، ويعري حقيقته أمام الشعب، كي يجعله على وعي تام بما يجري حوله وما

يدبر له، ومن ثم يدفعه إلى التحرك والإصلاح. فقد "لجأ الشاعر لتعرية الواقع إلى استخدام أسلوب المفارقة ليثير ويصدم أفكار ومعتقدات المتلقي، ويشوش رأيه الخاص واضعا القيم والحقائق موضع تصادم وتفارق، لدفعه إلى إعادة التفكير وترتيب الأفكار والقضايا"(زيار، 2012، 188). فيقول أحمد مطر:

مم نخشى ؟
الحكومات التي في ثقبها
تفتح إسرائيل ممشى
..
وإذا مر عليها بيت شعرٍ تتغشى!
تستحي وهي بوضع الفُحشِ
أن تسمع فُحشا!
مم نخشى ؟
أبصرُ الحكام أعمى
أكثر الحكام زهداً
يحسب البصقة قِرشا
أطول الحكام سيفاً
يتقي الخيفة خوفاً
ويرى اللا شئ وحشا!
أوسع الحكام علماً
لو مشى في طلب العلم إلى الصين
لما أفلح أن يصبح جحشا! (مطر، ٢٠١١،، ١٦٧).

ثم يواصل الشاعر تساؤلاته المستنكرة حول سبب خشيتنا من دولة "لو مسها الكبريت طارت"، وحاكم "لو مسه الدبوس فشا"، فهي دول لو أن "نملةٌ عطست تكسح جيشاً، وهباءٌ لو تمطى كسلاً يقلبُ عرشاً!"(مطر، ٢٠١١، ١٦٧).

ففي هذه القصيدة الرائعة يعري لنا الشاعر واقع هذه الأنظمة، فهي أنظمة تبطش بشعوبها وأدبائها، بينما تهادن العدو الأجنبي "إسرائيل"، بل وقد تنجح إسرائيل في اختراق هذه الأنظمة، وهي أنظمة هشة متخلفة بلا فكر أو منهج أو قوة حقيقية وأقل هزة تودي بها، مما يزيد المفارقة التصويرية ثراءً وعمقاً، ويقوي إحساس المتلقي بهبوط الواقع وترديه، وخصوصاً مع توظيف الشاعر لأسلوب الاستفهام المتكرر في قوله: "مم نخشى"الذي أوحى

بعمق المأساة وضخامة حجمها، حيث يكشف هذا الأسلوب مكنون المبدع من حيث التعجب والدهشة والاستنكار تجاه ما آلت إليه العلاقة بين الحاكم والمحكوم في العالم العربي من ألوان التناقض الصارخة، من هنا يبرز دور الاستفهام الذي وظفه الشاعر في مفارقاته التصويرية، الأمر الذي أكسبها دلالات واسعة وفاعلية مدهشة.

كما تتوالى صور الحاكم التضادية في الأبيات: أبصرُ الحكام أعمى –أكثر الحكام زهداً يحسب البصقة قِرشا –أطول الحكام سيفاً يتقي الخيفة خوفاً ويرى اللا شئ وحشا !... إنها صور متتالية معبرة تكوّن الصورة الكلية لحال الأنظمة الحاكمة في البلاد العربية التي تشي بالجهل والتخلف والضعف، ثم يدعو الشاعر الشعوب العربية إلى النهوض للقضاء على هؤلاء الحكام وتحويل كراسيهم إلى نعوش، معتمداً في ذلك على أسلوب الأمر، فيقول:

إنهضوا..
أنَ لهذا الحاكم المنفوش مثل الديك
أن يشبع نفشا
إنهشوا الحاكم نهشا
..
واجعلوا الكرسي نعشا! (مطر، ٢٠١١، ١٦٧).

فهذه المفارقات التصويرية تكشف المعنى، وتنير طريق الفعل والخلاص أمام العرب، وتدفعهم إلى نبذ التقاعس والخنوع.

فدلالات هذه المفارقة بعيدة وعميقة، ومعانيها خصبة فريدة في امتدادها إلى حقائق النظام السياسي المستبد الذي لا يقوم على أسس الحرية والعدالة والمساواة، فيجب أن يسقط ويحل محله نظام سياسي ديموقراطي عادل ينتخبه الشعب بإرادته الحرة، فهذه المفارقة التصويرية وأمثالها في شعر مطر المشكّلة عبر الأساليب الإنشائية تدفع المتلقي إلى النظر والتأمل والتساؤل والمقارنة، ومن ثم التحرك والثورة والتغيير.

خامساً:أسلوب التكرار:

قد يعتمد أحمد مطر في بناء مفارقاته التصويرية على أسلوب التكرار، وقد اعتمد الشعراء المعاصرون على توظيف هذا الأسلوب بشكل لافت، باعتباره "اسلوباً بيانياً معروفاً في الشعر القديم، وهو، فضلا عن تأثيراته الخطابية – الايقاعية، يرمي إلى تقوية المعنى

ووضوحه، لذلك حفل شعرهم بالتكرار سواء منه الملفوظ أم الملحوظ"(العوادي، ١٩٨٥، 214).

وهي ظاهرة فنية لافتة في شعر مطر، لها وظيفة فنية دلالية فعالة أكسبت أسلوبه جمالاً وتدفقاً وموسيقية، مما كان له تأثير عميق على المتلقي، ولم تبعث على الملل والسآمة. فتكرار الألفاظ "يكسب البيت نغماً، ويوسع دائرة المعنى"(العاني، 2005)، مما يغني النص، ويؤثر في النفس، وخاصة أن "التقسيم القائم على التوازي الإيقاعي التركيبي يفرض على الأبيات موسيقى مكثّفة عالية الرنين"(المصري، 1997، 60).

فيقدم الشاعر صورة كلية مستمدة من لعبة الشطرنج لحال الأنظمة السلطوية التي لا تدافع عن أراضي البلاد العربية، وتكتفي بالخطب الرنانة الجوفاء، بينما إسرائيل تتوسع في الاحتلال والاستبطان، بل وقد ندفع لها ولحليفتها أمريكا ثمن الأسلحة التي تحاربنا بها، حتى صرنا العجيبة الثامنة في عجائب الدنيا بعد مرور ثلاثين سنة من ممارسة هذه السياسة:

منذُ ثلاثينَ سنهْ
لم نَرَ أيَّ بَيْدَقٍ
في رقعةِ الشطرنجِ
يفدي وطَنَهْ
ولم تطنَّ طلقةٌ واحدةٌ
وسْطَ حروبِ الطنطنه
والكُلُّ خاضَ حَرْبَهُ بخطبةٍ ذريّةٍ
..
منذُ ثلاثينَ سنهْ
والكُلُّ يمشي مَلَكَاً
تحتَ أيادي الشيطَنَهْ
يبدأ في ميْسرةٍ قاصيةٍ
وينتهي في ميمنهْ
..
منذُ ثلاثينَ سنهْ
نسخرُ من عدونا لشِرْكِهش
ونحن نُحْيي وَثَنَهْ

ونشجبُ الإكثارَ من سلاحِهِ
ونحن نُعطي ثَمَنَهْ
فإن تكن سبعاً عجائبُ الدُّنَا
فنحنُ صِرنا الثامِنَهْ
بعد ثلاثينَ سنهْ ! (مطر، ٢٠١١، 16-17).

فهنا الشاعر يرسخ المعنى في ذهن المتلقي من خلال صور المفارقة المتتالية القاسية التي تشعره بفداحة الوضع ومأساويته مع الاعتماد على تكرار جملة "ثلاثين سنة"في بداية كل مقطع، ليؤكد معنى الصورة ويقويه ويرسخه في ذهن المتلقي، فهذا التكرار أضفى حيوية وجمالاً وموسيقية على الصورة وأكسبها دلالات عميقة لتجسد ما وصلت إليه حال الأمة من هبوط وتردٍ.

ويعرض الشاعر صور المفارقة لصورة الحاكم المنتشرة في كل مكان، والتي تعرض صوراً سعيدة مشرقة للحاكم، بينما يئن الشعب تحت وطأة سوء الأحوال ونير الاستبداد والظلم، ويحيا حياة تعسة بائسة: صورةُ الحاكمِ في كلِّ اتّجاهْ

باسِمٌ
في بلدٍ يبكي من القهرِ بُكاهْ!
مُشرقٌ
في بلدٍ تلهو الليالي في ضُحاهْ!
..
صادحٌ
في بلدٍ مُعتقلِ الصوتِ
ومنزوعِ الشِّفَاهْ!
سالمٌ
في بلدٍ يُعدمُ فيهِ النّاسُ
بالآلافِ، يومياً
بدعوى الاشتباهْ!(مطر، ٢٠١١، ٣٢٨).

فتلك الصور تكشف عن مرارة الواقع، وما كانت هذه المرارة لتظهر واضحة بجلاء، لولا المفارقة التصويرية البارعة التي مزج فيها الشاعر صورة الحاكم بصورة الشعب، مع توظيف أسلوب التكرار لجملة "في بلد"، مما يثري النص الشعري، ويشحنه بطاقات

موسيقية، ويؤكد الدلالة ويقويها، فهذا النمط من التكرار–تكرار الجملة "هو تكرار يعكس الأهمية التي يوليها المتكلم لمضمون تلك الجمل المكررة باعتبارها مفتاحا لفهم المضمون العام الذي يتوخاه المتكلم، إضافة إلى ما تحققه من توازن هندسي وعاطفي بين الكلام ومعناه"(أسية، 2009، 93).

فقد لعبت هذه المفارقات التصويرية المتعددة هنا دوراً بارزاً في خدمة النص وبلورة الفكرة الأساسية ألا وهي إدانة صور الاستغلال والظلم والقهر الذي تتعرض له الشعوب العربية على يد النظام السلطوي الديكتاتوري. فاللغة هنا اكتسبت سلطة سياسية، فاكتساء الكلام السياسي بالأساليب الجمالية يكسبه طاقات تأثيرية متفجرة، فتحقق الانصهار بين سلطة اللغة وسلطة السياسة.

وهكذا تبرز في الأعمال الإبداعية لأحمد مطر لغة المفارقة التي تعد من أهم الوسائل الفنية في التعبير عن إحساس الشاعر بمرارة الواقع وهبوطه الذي يسعى إلى إصلاحه وتغييره، معبراً عن ذلك بكلمات وتراكيب متعارضة أو متقابلة توحي بالدهشة والاستنكار والإدانة والسخرية في مختلف مستوياتها. فلديه مهارة خاصة في بناء الجمل المتعارضة وتشكيلها لغوياً، مما يثير المتلقي ويدفعه إلى محاولة فهمها والوقوف على دلالاتها الوظيفية.

ونستخلص مما سبق أن أحمد مطر قد نجح في توظيف المفارقة التصويرية توظيفاً فنياً فعالاً يعكس مقدرته الفنية على صهر عناصر رؤيته وفكره السياسي في بوتقة اللغة العربية. فتلعب هذه الخصيصة الفنية في شعره دوراً محورياً في إبراز المعنى وتكثيف الدلالة وتأكيد الفكرة ودعم الرؤية المطروحة، خاصة فيما يتعلق بإشكالية الحاكم والمحكوم في العالم العربي، وقد وظف الشاعر عدة خصائص أسلوبية في تشكيل مفارقاته التصويرية أدّت دوراً فاعلاً في إثراء النص الشعري جمالياً ودلالياً.

فالشاعر يحيا حياة المفارقة، ومنها تتكون تجربته، والمفارقة تعكس رؤية الذات المبدعة بكل ما فيها من رفض وتمرد وغضب وسخط تجاه واقع هابط يعج بالسلبيات والتناقضات الصارخة، تسبب في شعورها بالاستلاب من جراء تعامل الأنظمة السلطوية الحاكمة في العالم العربي مع شعوبها، لذا تعتبر المفارقة التصويرية إحدى التقنيات الرئيسة لتصوير تجاربه، وإيصالها إلى المتلقي، ولا سيما المفارقة التي تعتمد على تكثيف خاص للغة.

إن الصورة في شعر أحمد مطر ذات نكهة خاصة مميزة، محملة بحمولات سياسية واجتماعية وثقافية غنية، فهو يؤسس ذاته وجماليته الشعرية عبر تمرده على السنن الشعرية الشائعة وعلى الأنظمة السياسية والاجتماعية والثقافية السائدة.

فالشاعر أحمد مطر له أسلوب جمالي متميز في تشكيل الصور –ولاسيما منها الصور المفارقية– لغايات فنية جمالية فكرية، يلجأ فيها إلى التجديد من خلال إقامة علاقات جديدة بين الدال والمدلول، والتي قد تفاجئ المتلقي وتدهشه بانحرافاتها وكثافة حمولاتها ودلالاتها، وهي تستدعي قارئاً متخماً بهموم أمته وواقعها المر، لذلك نجح الشاعر في تمثل العلاقة الشائكة بين الحاكم والمحكوم في صوره ورسم الشخصيات وتجسيد المواقف، وقد اتسمت هذه الصور بالجدة والطرافة والمتعة والعمق والكثافة والحيوية، والتي تجعل منه شاعراً مقدماً بين أقرانه أصحاب هذا اللون من الشعر السياسي.

الخاتمة

هدف هذا البحث إلى الكشف عن تجليات إشكالية الحاكم والمحكوم في العالم العربي في شعر أحمد مطر، وأثر ذلك في طرائق التشكيل الأسلوبي للمفارقة التصويرية. فقد تميز أحمد مطر في ميدان الشعر السياسي بعد أن استوعب الواقع المعيش للعالم العربي في شعره، وتفاعل معه وتمثله، ونقد سلبياته نقداً بناءً، وقد شكّلت إشكالية الحاكم والمحكوم في العالم العربي والعلاقة بينهما حجر الزاوية في هذا النقد، لذا تجلّت في مفارقاته التصويرية بشكل بارز؛ لأنه يؤمن بدور الأدب في إصلاح هذا الواقع وخلقه على نحو مثالي أفضل. وأبرز النتائج التي توصل إليها البحث هي:

أولاً:يعتمد أحمد مطر على أسلوب السرد القصصي في بناء بعض مفارقاته التصويرية، لقص سلبيات الحاكم ومآسي المواطن العربي، وتصوير تناقضات الواقع ومرارته وإدانته. وقد برع الشاعر في توظيف هذا الأسلوب الذي يضفي الحيوية والمتعة على جو النص الشعري فضلاً عن التأثير في القراء، وجذب انتباههم لمتابعة قراءة النص.

ثانياً:يعتمد الشاعر على التناص في تشكيل مفارقاته التصويرية وفق رؤية واعية تصل الماضي بالحاضر وتنطلق إلى المستقبل، فتتنوع في صور المفارقة لديه طرائق توظيف التراث واستلهامه، ويتوزع في روافد عدة، وقد ساهم ذلك بفعالية وحيوية في خلق صورة المفارقة في قصائده التي تمثل الحاكم العربي والمواطن العربي، ليكشف من خلال ذلك فكره وليبلور موقفه تجاه قضايا واقعه المعيش، ولا سيما منها إشكالية الحاكم والمحكوم.

ثالثاً:يلجأ الشاعر إلى أسلوب السخرية في بناء مفارقاته التصويرية، وهذا الأسلوب من أبرز الأساليب وأمتعها، فقد كان شاعراً مشبعاً بروح السخرية، ذا براعة فائقة في الوصف ودقة في التصوير، يتناول الواقع المر المتردي بالنقد اللاذع الساخر، كما يلجأ إلى التصوير الكاريكاتيري في المبالغة والتشويه، معتمداً في نقده اللاذع على الذوق والعقل، مما يخدم النص ويساير البناء الفني ويضفي على الأسلوب مسحة من الحيوية والمتعة والجاذبية، لاسيما حين يتصل بالنقد السياسي لإشكالية الحاكم والمحكوم.

رابعاً:اعتمد أحمد مطر في بناء مفارقاته التصويرية على توظيف الأساليب الإنشائية مثل الاستفهام والنداء والأمر والنهي، بما لهذه الأساليب من قدرة على التأثير في المتلقي ونقل الرؤى والأحاسيس إليه، وقدرة على التشكيل الجمالي للأسلوب التصويري وتعميق أبعاده.

خامساً:قد يعتمد أحمد مطر في بناء مفارقاته التصويرية على أسلوب التكرار، وهي ظاهرة فنية لافتة في شعره، لها وظيفة فنية دلالية فعالة أكسبت أسلوبه جمالاً وتدفقاً وموسيقية، مما كان له تأثير عميق على المتلقي، ولم تبعث على الملل والسآمة، كما أثرت النص الشعري، وشحنته بطاقات موسيقية، وأكّدت الدلالة.

سادساً:تبرز في الأعمال الإبداعية لأحمد مطر لغة المفارقة التي تعد من أهم الوسائل الفنية في التعبير عن إحساس الشاعر بمرارة الواقع وهبوطه الذي يسعى إلى إصلاحه وتغييره، معبراً عن ذلك بكلمات وتراكيب متعارضة أو متقابلة توحي بالدهشة والاستنكار والإدانة والسخرية في مختلف مستوياتها. فلديه مهارة خاصة في بنائها وتشكيلها، مما يثير المتلقي ويدفعه إلى محاولة فهمها والوقوف على دلالاتها الوظيفية.

سابعاً:إن أحمد مطر قد نجح في توظيف المفارقة التصويرية توظيفاً فنياً فعالاً يعكس مقدرته الفنية على صهر عناصر رؤيته وفكره السياسي في بوتقة اللغة العربية. فتلعب هذه الخصيصة الفنية في شعره دوراً محورياً في إبراز المعنى ودعم الرؤية المطروحة، خاصة فيما يتعلق بإشكالية الحاكم والمحكوم في العالم العربي.

ثامناً:قد وظف أحمد مطر عدة خصائص أسلوبية في تشكيل مفارقاته التصويرية أدّت دوراً فاعلاً في إثراء النص الشعري جمالياً ودلالياً، لذلك نجح في تمثل واقع الحاكم والمحكوم والعلاقة الشائكة بينهما في صوره ورسم الشخصيات وتجسيد المواقف، مما جعل منه شاعراً مقدماً بين أقرانه أصحاب هذا اللون من الشعر السياسي.

تاسعاً:إن اللغة الشعرية عند أحمد مطر قد اكتسبت سلطة سياسية، فاكتساء الكلام السياسي بالأساليب الجمالية يكسبه طاقات تأثيرية متفجرة، فتحقق الانصهار بين سلطة اللغة وسلطة السياسة.

قائمة المصادر والمراجع

1.الأزرقي، أحمد عباس كامل، التناص معياراً نقدياً شعر أحمد مطر إنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة ذي قار كلية الآداب 2010 م

2.الأسدي، مسلم مالك بعير، لغة الشعر عند أحمد مطر، رسالة ماجستير، جامعة بابل – كلية التربية، ٢٠٠٧ م

3.إبراهيم، نبيلة فن القص النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، بدون تاريخ

4.أسية، داحو، الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية –محمود درويش نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بوعلي. الشلف.، كلية الآداب و اللغات، 2009

5.أمزير، مصطفى، شعرية البوح –(دراسة في تجربة أحمد مطر الإبداعية)، مكتبة الإسكندرية، بدون تاريخ

6.الأهواني، عبد العزيز، ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ١٩٨٩

7.بهروزي، مجتبي، المفارقة التصويرية ذات المعطيات التراثية في أشعار عبد الوهاب البياتي السياسية، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة – كلية الآداب، ع29، آيار 2019

8.حسن، عبد الرحيم، لقاء الشاعر أحمد مطر مع صحيفة "العالم"، عدد 185، لندن، 29 أغسطس 1987

9.خضر، فوزي، ديوان من سيرة الجواد المعاند، كتاب فاروس، سلسلة تصدر عن هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٩٨

10.الخفاجي، قيس حمزة، المفارقة في شعر الرواد، ط1 دار الأرقم للطباعة والنشر بابل – العراق، 2007

11.الخلايفة، حمزة أحمد محمد، تجليات المفارقة في الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى عصر الحداثة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية الجامعة الإسلامية بغزة – شئون البحث العلمي والدراسات العليا، مج 29، ع1، يناير 2021

12.راشد، أنسام محمد، تجلّيات اللغة الشاعرة في النص السياسي الساخر عند أحمد مطر قراءة تحليلية، حوليات آداب عين شمس، جامعة عين شمس – كلية الآداب، مج 46، ديسمبر 2018

13.الربيعي، محمد شاكر ناصر/ عبد عمران، آلاء عهد، الرؤية التكوينية العامة في شعر أحمد مطر، مجلة الدراسات المستدامة، الجمعية العلمية للدراسات التربوية المستدامة، مج 5، ع1، 2023

14.زايد، علي عشري، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الرشد الرياض،٢٠٠٣

15.زيار، فوزية، الخطاب الحجاجي في ديوان لافتات 2 لأحمد مطر مقاربة تداولية –، رسالة ماجستير، جامعة وهران – السانيا – كلية الآداب واللغات والفنون – الجزائر، 2012

16.السعدني، مصطفى، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف الإسكندرية، بدون تاريخ

17. ، المدخل اللغوي في نقد الشعر – قراءة بنيوية، منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٨٧

18.سليمان، عبد المنعم محمد فارس، مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر، رسالة ماجستير كلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين، 2005

19.شبانة، ناصر يوسف إبراهيم جابر، المفارقة في الشعر العربي الحديث– محمود درويش، أمل دنقل، سعدي يوسف نموذجاً، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية كلية الدراسات العليا الأردن، ٢٠٠٠م

20.الشرفي، أحمد بن علي ناصر، المفارقة التصويرية في شعر غازي القصيبي، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل – العلوم الإنسانية والإدارية –جامعة الملك فيصل، مج 12 ع 1، 2011

21.العبد، محمد، المفارقة القرآنية، ط٢ مكتبة الآداب، القاهرة. (١٩٩٧م

22.عبد الحفيظ، محمد راضي جلال، المفارقة التصويرية في ديوان من سيرة الجواد المعاند للشاعر فوزي خضر، مجلة كلية الآداب، جامعة السويس – كلية الآداب، ع9، يوليو 2017

23.عبدالعالي، حافظ كوزي، السخرية الهادفة في شعر أحمد مطر، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة – كلية الآداب، ع 15، 2012

24.عبدالله، سعاد بن، حنيف، بن ناصر، صور شعرية التمرد وعلاقتها بانتقاء الألفاظ في شعر أحمد مطر، مجلة الموروث، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم – كلية الأدب العربي والفنون –، مج 9، ع1، جوان2021

25.العقيلي، حيدر برزان سكران، تشبيه التضاد في شعر احمد مطر: دراسة فى التركيب والدلالة في ديوان لافتات، مجلة آداب ذي قار جامعة ذي قار – كلية الآداب، مج 1، ع 4، تشرين الأول 2011

26.عامر، عزة عبداللطيف محمد، القصيدة القصيرة عند أحمد مطر: تطبيق على لافتات، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة – كلية دار العلوم، ع125، أغسطس / ذو الحجة 2019

27.العاني، وعد محمد سعيد، لغة شعر أبي تمام بين ناقديه، رسالة دكتوراة، جامعة بغداد العراق، 2005م

28.العوادي، عدنان حسين، لُغَةُ الشعر الحديث في العِراقِ بَين مَطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٣٧٥)، العراق، ١٩٨٥

29.غنيم، كمال أحمد، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، BIBLIOTHECA ALEXANDRINA، مكتبة مدبولي، ٩٧ه

30.فؤاد، محمد/ السلطان، ذيب))، الغضب والتمرد في شعر أحمد مطر، مجلة جامعة الأقصى – سلسلة العلوم الإنسانية جامعة الأقصى، مج 8، ع 1، كانون الثاني 2004

31.الكساسبة، هشام حمد، شعرية الهجاء السياسي: دراسة في شعر أحمد مطر، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة عمادة الدراسات العليا –الاردن، 2016

32.محمد، طويل عبدالسلام، جدلية القهر والحرية والثورة في شعر أحمد مطر، مجلة الفرقان –امحمد طلابى، ع26، أبريل / شوال 1992

33.محمد، الوكيل محمد أحمد، أحمد إبراهيم محمد بني عطا،، المفارقة الدلالية التصويرية فى الشعر العربي الحديث: دراسة تحليلية تطبيقية سعد ظلام أنموذجا، مجلة كيرالا، جامعة كيرالا – قسم العربية، ع11، يناير 2018

34.المسعودي، علي، لقاء أحمد مطر مع مجلة "الحدث"، الكويت، العدد 24، يوليو، تموز 1998م

35.المصري، يسرية يحيى، بنية القصيدة في شعر أبي تمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997

36.مصلوح، سعد، الدراسة الإحصائية للأسلوب، مجلة عالم الفكر الكويت، مج٢٠، ع3، ١٩٨٩

37.مطر، أحمد، المجموعة الشعرية، ط1 دار الحرية بيروت – لبنان، ٢٠١١م

38.مفتاح، محمد، استراتيجية التناص، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٨٨٥

39.موقع الساخر، لقاء موقع الساخر بأحمد مطر، 12-6-1423هـ: http://web. archive. org/web/20040529074505/www. alsakher. com/modules. php?name=News&file=article&sid=284

40.موقع ويكيبيديا، السخرية في شعر أحمد مطر، موقع ويكيبيديا، بدون تاريخ: https://ar. wikipedia. org/wiki/

41.اليافي، نعيم، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، ط1 صفحات للدراسات والنشر، دمشق سورية، 2008 م